الفصل الخامس

المدرسة والتغير في المجتمع

كان معظم سكان أمريكا في السنوات الأولى من هذا القرن يعيشون في الريف أو في مدن صغيرة، وفي تلك الفترة كان في استطاعة جميع الأطفال أثناء عودتهم من المدرسة إلى البيت، كما عبر عن ذلك لو نجفلو «أن يروا الأشياء في وضوح» ذلك أن المدينة كانت واضحة بمعنى أن العمل والحياة المهنية والاجتماعية كان من الممكن لجميع من ينظر إليها أن يراها وأن يفهمها.

فكان الأطفال يدركون عمل النجار لأنهم وقفوا وشاهدوا منزلا يبني، فعرفوا من أن يجيء الخشب لأنهم رأوا جزوع الشجر وهي تقطع وتجر إلى حيث تنشر، ورأوا كذلك ورشة نشر الخشب هذه وشاهدوا كيف يقطع المنشار كتلة من الخشب إلى ألواح، ولم يكن هناك تنبيهات وتحذيرات تمنع الأطفال من مشاهدة ذلك، وعرفوا نفقات بناء المنزل، والمزايا النسبية للبناء المكون من خشب وطوب، كما عرفوا ممن الأرض وأجر العامل الفني وما يستحق هذا العامل من احترام، وهم يسمعون هذا ويسمعون أشياء أخرى تناقش وتدور على ألسن المجتمعين في المتجر أو في مكتب البريد أو عند الحلاق.

ويلاحظ الأطفال هذه الأشياء كجزء من ألعابهم، ويصغون إليها

ويفهمونها، فلم يقل الآباء لهم «اذهبوا إلى هناك وقفوا عند هذه المجموعة من الرجال أو تلك وأنصتوا إلى السيد براون وهو يتحدث عن ثمن القمح فقد تتعلمون شيئا يضاف إلى تربيتكم» لا، لم يقل لهم الآباء شيئا مثل ذلك مطلقا، بل كان الأطفال هم الذين يختلسون لحظات عندما ترسلهم أمهاتهم في مهمة ما، أو شأن من شئونها، ينصتون فيها إلى الناس، وهم في أثناد عودتهم من المدرسة يقفون ويلاحظون ما يدور حولهم، وفي أيام الآحاد يتجولون في المدينة يلاحظون وينصتون ويكتشفون ويلعبون ويتعلمون من ذلك أيضا.

وقد اشتغل الأطفال بأعمال، ومع ذلك فقد بدأ لهم العمل لعبا، لقد كان العمل في عربة البريد في اليوم الأول بالنسبة لهم يشبه اللعب، ولم يكسب الطفل نقودا ذلك الأسبوع حينما كان يساعد الرجل الذي مسح الشارع الرئيسي عند رصفه لأول مرة، ومع ذلك فقد كان العمل مليئا بالفكاهة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لم يعد درس القمح في الصيف التالي آنذاك ممتعا بعد مضى الأيام القليلة الأولى، ومع ذلك فقد كان في هذا نوع من الاشباع أيضا، وقد كان الطفل في ذلك الوقت يكسب ثمانين سنتا في اليوم، وكان بين كل هذا هازلا، لأنه اشتاق طوال هذه السنوات أن يعمل شيئا بعد أن لاحظ مجموعة من الزملاء الأشداء يقومون به سنوات طويلة، وقد ظهر أنه أصعب وأشق مما كان يعتقد ولكنه لا يستطيع له تركا «كما فعل أحد أصحابه القدامى» وذلك لأنه شعر فجأة أن هذا اختبار لنضجه ونموه.

والبنون والبنات الذين عاشوا في المزارع مروا بخبرات كثيرة أثناء هذا

العمل الممتزج باللعب أو أثناء هذا اللعب الممتزج بالعمل، وقد كان من المزاح أن يغذي الطفل في سن السابعة الفراريج، وكان من المزاح أيضا أن يحلب البقرة وكان من المزاح أن يهيأ الطفل وهو في سن السابعة عشرة مكانا في الاسطبل للخيل، وكان من المثير حقا أن يقود وحده وهو في سن الخامسة عشرة عربة إلى المدينة ليبيع اللبن ويعود بالثمن، وهذا عمل كان الأب يقوم به وحده حتى في ذلك الوقت وهذه الأعمال كلها كانت هزلا في البداية، ولكن الشات الذي يعمل بالزراعة يستمر في أداء عمله حتى بعد أن لم يعد الأمر هزلا، لأنه يعلم مدى أهميته بالنسبة لدخل الأسرة.

هذا النوع من الحياة بسيط بمعنى أن المباديء التي تسيطر عليه مفهومة بالنسبة لعقل الطفل النامي، فارتفاع أثمان منتجات المزرعة وانخفاضها في كل موسم بذلك على صحة قانون للعرض والطلب، والطبيعة خارج البيت صديقة للطفل حيث يفهمها وحين يستخدمها عدوة له حين يهملها ولا يستطيع السيطرة عليها، ويؤدى العمل والاقتصاد في النفقة إلى شراء أرض جديدة، وتصبح الديمقراطية هامة حين يقطع الفرد مساهمة خمسة أميال ليعطى صوته، وحين تذهب الأسرة كلها من أجل ذلك، وأدوات الدراسة هي الآلات البسيطة في مخترعات الإنسان الآلية، ويسهل معرفة الصواب والخطأ، كما يسهل معرفة الزارع الذي يغش في صفقة أخشاب، ويعتبر عابر الطريق الذي يسأل إنسانا قطعه من الخبز دون أن يساعده في قطع الخشب إنسانا جانحا، ولا تعتبر المسألة الجنسية مشكلة أنها عمل ممل قوامه أخذ البقرة إلى الثورة.

نستطيع أن نتذكر حياة الأسرة في تلك الأيام قبل أن تيسر السيارة

للأسرة أسباب الاتصال والتباعد وقبل أن يقدم الراديو برامج مسلية منظمة مدة كل منها خمس عشرة دقيقة، وقبل أن تتيح السينما مكانا نذهب إليه كل ليلة، وقبل أن تنشأ كثير من المطالب تستغرق وقت الوالدين واهتماماتهما، وكانت الأسرة متماسكة جدا، غير أن هناك الآن قوى كثيرة تتصل بالتعقد المتزايد في المجتمع المحلي وبتعقد الحياة في الولاية، وتعمل هذه القوى على تحطيم بناء الأسرة بل وتميل الحياة الاجتماعية إلى ذلك التحطيم، وعلى الرغم من أن إنسانا لم يقل هذا، فهذه الأسر مؤسسات تربوية تشكل الخلق وتصقل الأذواق وتنمي الميول وتوجه النشأ إلى اختيار المهن التي تناسبه وتنمي الكفاءة والقدرة على تكوين أسرة وإدارة شئونها، وقد كان بعض هذه الأسر أفضل من البعض الآخر لأن الآباء كانوا يلاحظون نمو أبنائهم ويوجهونهم.

وتستطيع أن تتذكر في طفولتك كيف كان الترويح مرتبطا بحياة الأسرة وكان لكل طفل واجباته التي تتصل بالمنزل والتي تتصل بالعناية بفنائه، وكان الجميع يلتفون حول النار في المساء حين تنتهي الأعمال حيث يشوى الذرة، وكانت تصنع أشجار الزينة «والفشار» والحلوى في عيد الميلاد، وكانت تقام الحفلات بعد الظهر ويقرأ الآباء في المساء على أفراد العائلة مجتمعين قصصا وروايات كما كانوا يقرأون الإنجيل، ولقد صحبت والدك عند ذهابه إلى المكتب، وصحبت عند ذهابه إلى البقال وصحبته أيضا إلى الحقل وإلى المتجر.

وتعلمت كيف يجتمع الرجال، وساعدت والدتك في تسليتها، فناديت لها الجيران كثيرا وكان في ذلك قدر كبير من الترويح، وكانت

الأسرة كلها تذهب يوم الأحد إلى الكنيسة وإلى مدرسة الأحد التي كانت تنظم رحلات قصيرة كل أسبوع والتي تنظم أيضا نزهات وتعد عشاء جاهزا وتعقد الحفلات.

ماذا تحتاج المدرسة، وماذا تريد أن تكون في مجتمع يكتسب الأطفال ما يحتاجون إليه عن طريق الترويح الذي يضفي على حياة الأسرة خصوبة، وعن طريق حياة المدينة الواضحة الطليقة من القيود وبواسطة خبرات هي مزيد من اللعب والعمل قوامها المشاهدة والاستماع ومساعدة الآخرين وكسب دريهمات قليلة من اليوم؟ هل تحتاج المدرسة بعد هذا إلى أن تقلق فيما يتصل بإشباع اهتمامات الأطفال ومطالب الترويح وخيرة العمل والقدرة على الابتكار؟

تنجح المدرسة نجاحا طيبا إذا لم تصنع للطفل أكثر من توجيه عقله وصرفه إلى التعلم من الكتاب وكانت هذه المدرسة ولا تستطيع أن تفعل أكثر من تعليم القراءة والكتابة ومباديء الحساب وبعض الحقائق الهامة – مثل عواصم الولايات وحاصلات أوروبا وآسيا ما قاله بيرك عن الصلح مع المستعمرات حين اكتشف كولمبس أمريكا – لا تستطيع المدرسة أن تفعل أكثر من هذا في مجتمع تعتبر أبوابه التي تؤدي إلى مدرسة الخبرة فيه مفتوحة على مصاريعها، وكثيرا ما لا يوجد ملاحظون حريصون ومرشدون لنمو النشأ في مدرسة الخبرة هذه، وقد يتعلم الطفل أحيانا أشياء خاطئة ولكن هذا هو كل ما كان يمكن تعلمه، وفي الوقت نفسه كان كل ما يحتاجه ذلك النوع من التعليم الذي كان يهتم أولا بالحقائق وبالمسائل العقلية بضع ساعات كل يوم خلال أشهر الشتاء، كانت هذه هي تربية عام

١٩٠٠، لمجتمع عام ١٩٠٠، مجتمع بسيط نسبيا واضح في تعليمه، مفهوم يتكون معظمه من مدن صغيرة وقرى وحيث كانت الأسرة المتماسكة توجه النشأ توجيها قويا [١] .

ولم يعد مجتمعنا على هذا النحو، فهذا عصر المدن الضخمة والصناعة والعمل الهائل، والتخصص وتقسيم العمل، والسياسة الدولية الشاملة، والتجارة التي تشمل العالم والاهتمامات التي شغلت الآباء عن أسرهم، ومن الملحوظ أن نصف أطفال الولايات المتحدة يعيش في مدن كبيرة، ويصعب تتبع العمليات الصناعية المعقدة حتى أن العمال أنفسهم لا يستطيعون أن يروا عمليات إنتاج سلعة من السلع من بدايتها حتى نهايتها. واللافتات والتحذيرات في كل مكان تقريبا تمنع مشاهدة الناس لما يدور في المجتمع وأضحى الفراغ مشكلة، وبالرغم من أهمية وسائل الترويح الجاهزة إلا أنها تعطل الاهتمامات الاجتماعية والابتكارية، ويتعرض الأطفال الذين يلعبون في شوارع المدن الكبيرة للخطر، ولا يقتصر الأمر على ذلك بل إن هذه الأمكنة تضيع قيم النمو التي يمكن أن تنتج عن لعب الأطفال.

---

(١)يشير كل هذا إلى أن المدرسة التقليدية النظرية، كانت تؤدي وظيفتها عندما كان المجتمع بسيط: حيث كان الأطفال يتعلمون كثيراً من المهارات عن طريق مساهمتهم الفعلية في كثير من أوجه النشاط، إلا أنه عندما تعقد المجتمع وعندما ظهر فيه التخصص وتقسيم العمل لم يعد في إمكان الأطفال المشاركة في نواحي النشاط المختلفة أو مباشرتها أو ملاحظتها، وأصبحت المدرسة النظرية متخلفة في مثل هذا المجتمع الحيث لأنها لم تتطور في برامجها بحيث تتيح للتلاميذ المساهمة في أوجه النشاط المختلفة في المجتمع والمؤلفان يعتبران أن المدرسة الجيدة هي التي تتطور والتي تغير في برامجها ما يحدث في المجتمع في تغيرات لكي تساعد النشأ على النمو الشامل في هذا المجتمع ولهذا لا يعتبر المؤلفان أنفسهما من التقدميين أو التقليديين وإنما يعتبران من أنصار التطور.

ومن الصعب أن يصبح اللعب عملا وأن يعزي العمل إلى نفس الاهتمام القوى الذي يدفع إلى اللعب، ونحن ننكرعلى الصغار أن يتعلموا وأن ينموا عن طريق العمل لنحمي دخل الكبار، ونحن بذلك نعطل نمو النشأ، ونخلق مشكلة للشباب.

وحيث تعمل المدارس بنفس النظام الذي وجد أصلا في المجتمع الريفي – بضع ساعات في اليوم وخمسة أيام في الأسبوع خلال الثلاثين أسبوعا من أسابيع أشهر الشتاء– فإنها تساعد دون قصد على خلق مشكلات جناح الأحداث، وقد انتشر التصنيع حتى شمل المزرعة فقامت فيها صناعات على المحاصيل التي تغلها وتستيب هذه الصناعات للعوامل الاقتصادية التي يصعب إدراكها وفهمها ولم تعد اقتصاديات المزرعة مستقلة في حد ذاتها بمعنى أن ما يحدث فيها لا يتأثر إلا بما فيها.

وليس هذا مقالا عن عيوب المجتمع الحديث وعن مزاياه، إذ ينبغي أن يكون واضحا حتى بالنسبة للملاحظ العادي أننا كمجتمع يسير في طريق يؤدي بنا إلى مكان ما، ربما نكون في منتصف الطريق بين ما كنا عليه عام ١٩٠٠ وما سنكون عليه عام ٢٠٠٠، ويمكن أن ينظر إلى عدد كبير من عيوب المجتمع الحديث على أنها آلام تتزايد وتكبر–وسوف تجد المشكلات التي تحدث هذه الآلام حلا بمضي الزمن – هذا ما نأمله، وقد ذكرت خصائص مجتمعنا لنقارنها بما كنا عليه لكي تظهر إلى حد ما أين يكون عمل التربية الحديثة.

وإذا كانت نظم مجتمعنا تتغير دائما فهل من الحكمة أن نفترض

وجوب بقاء نظام من أهم هذه النظم دون تغير، وهو النظام الذي يقوم بعمل مستمر ليحسن المواطنين وأرباب الأسر والعمال ويطورهم وليوفر أناسا مستنيرن في حياتهم فطنين في نظرتهم إلى الحياة، وإذا كانت الظروف والأحوال التي توفرت للنمو الشخصي والنمو الاجتماعي والتي وفرت خبرات مباشرة خصبة في المجتمع الريفي وفي المدن الصغيرة التي كانت موجودة عام ١٩٠٠ – إذا كانت هذه الظروف قد انتهت ولم تعد توجد إلا في أضيق نطاق، فهل من الحكمة أن نفترض أن ما تقدمه مدرسة عام ١٩٠٠ وهو شيء محدود مازال برنامجا مناسبا لمدارس اليوم؟ وإذا كانت التسلية والترويح وتنوع الاهتمامات الابتكارية قد ارتبطت بحياة الأسرة ارتباطا وثيقا فهل يظل عمل المدرسة دون تغير ولا يكترث لما طرأ على طبيعة الحياة الأسرية من تغير كبير.

المدرسة الحديثة تستأثر بأيام طفولتك

تستجيب المدرسة المتطورة، وهي المدرسة الحديثة، لهذه التغيرات التي تحدث في الأنماط الأساسية لحياتنا، وهي تعمل على تهذيب كثير من الخبرات الهامة التي توجد في محيط الأسرة وفي المجتمع المحلى في الوقت الحاضر والتي ينمو في وسطها الأطفال، والآن ما هي الخطوات التي اتخذتها المدرسة لكي توفر هذه الخبرات؟

يخلق تلاميذ الفرقة الثالثة جوا عائليا باجتماعهم حود المدرسة ينصتون لقراءات، ويقصون القصص ويتناولون الخبرات.

ويقوم تلاميذ الفصل بالترويح عن أصدقائهم بتنظيم حفل شأي أو

بدعوتهم إلى غذاء يتناولون فيه الطعام معا في حفل يشبه في أسلوبه ما كان يوجد في الحفلات القديمة.

ويوضح برنامج شامل متنوع من الألعاب والتمرينات الرياضية، يوفر للأطفال فرص الترويح، واللعب الجمعي ويتيح لهم إنماء لقدرة القيادة عند التلاميذ على اختلاف أعمارهم، وميولهم ونضجهم الجسمي.

وتنظم المدرسة الثانوية حلقات الرقص والاجتماعات، وحفلات عيد الميلاد وحفلات تناول الطعام وتكون الأندية والمهرجانات التي تيسر للنشأ المواقف المشابهة لتلك التي وفرتها الهيئات الأخرى لآبائهم.

وتكتشف جماعة من البنات، عن طريق تصفيفهم القطن وغزله ونسجه على آلة النسيج، أن الملابس لا تخلق جاهزة ولا تظهر فجأة على أرفف المحلات التجارية.

وتمارس جماعة من الأولاد أثناء صناعتهم آلة كهربائية، بالأدوات الأساسية، الخبرات الأولى التي مر بها الإنسان في صناعته الأدوات الكهربائية.

وتقضي فتاة المدرسة الثانوية جزءا من وقتها في رعاية أطفال مدرسة الحضانة، وهي بذلك تعد إعدادا مباشرا للحياة الطريقة التي كان يمكن أن تقابلها في البيت عندما كانت الأسرة كثيرة الأفراد، ويتعلم أطفال الفرقة الأولى للعب الجمعي في سلام بإحضارهم ألعابهم إلى المدرسة ويتعلمون أيضا مشاركة بعضهم البعض الآخر في هذه الأشياء.

وينظف الأطفال حجراتهم، ويحافظون على الأرفف، وينظفون

النوافذ أيضا، ويوزعون الطعام، ويستعملون أجهزة المدرسة بنفس الأسلوب ومصنع الخشب، ومصنع الحديد وعن طريق زيارتهم أيضا لدور الطباعة، ودور الحضانة، ولمكتب البريد، ولقاعات الأوركسترا.

ويشاهد الأطفال بدقة النواحي المتطورة من حياتهم كما تصورها الأفلام.

وفي سبيل إعداد التلاميذ ليأخذوا مكانهم في حياة الكبار، فإنهم يمارسون في المدرسة أساليب النشاط التي تقوم بها المؤسسات الرئيسية في مجتمعهم المحلي، فلهم متجرهم، ولهم البنك الخاص بهم، ولهم مكتب البريد، ونظام حكومتهم ومحكمهم وصحيفتهم اليومية، ولهم إذاعتهم.

وتشجع القدرة على الابتكار عن طرق الرسم والطلاء وعن طريق الاشتراك في الفرق الموسيقية والأندية وعن طريق الأناشيد وجمعيات الشعر والتمثيليات.

ويزين البنات الحجرات، وينسقن الزهور، ويحسن الزهور، ويحسن الأثاث لأسباب تشبه تلك التي تدفعهم إلى كل هذا في منازلهن.

ويكون مجموعة من التلاميذ لجنة استقبال، للترحيب بالزائرين في المدرسة بأسلوب يتسم بالأدب والوقار كما لو كانوا في منازلهم.

وتصبح الديمقراطية السياسية قريبة من فهم التلاميذ وإدراكهم لأنها تتجدد في انتخابات المدرسة، وفي انتخابات الأندية، ولجان الطلبة.

وينسق الأطفال حدائق على أرض المدرسة، حيث يزرعون ويربون

الحيوانات والحشرات في حجرات المدرسة لكي يحصلوا على الفهم الحقيقي عن طريق الخبرة المباشرة ليدركوا فائدتها وكيفية الإشراف عليها.

وتنظم المدرسة برنامجها حول خبرات العمل في المجتمع المحلى، ويوجه كل تلميذ نحو ميدان الإنتاج، ولا يعتبر مثل هذا البرنامج بالضرورة طريقا لمهنة معينة بل إنه يهدف إلى أغراض شاملة، بحيث يدرك من يصبح وزيرا في المستقبل ماهية العمل الذي يسند إليه مثلا، ويدرك من يصبح مديرا للأعمال في المستقبل طرق الإنتاج ونوعه.

تقوم المدرسة الحديثة بمثل هذه الأشياء، وتقوم بجانب ذلك أيضا بما يندر أن يوجد في مدرسة الخبرة، فهناك توجيه من جانب مدرسين أذكياء منتجين يعرفون متى يشذب الزرع، ومتى تروى الأرض ومتى تحرث، ومتى تسمد التربية، وقد تصبح حجراتهم الدراسية كأحسن البيوت في مميزاتها التربوية ومميزاتها السيكولوجية، وتشبه المدرسة نفسها مجتمع الأيام الماضية في وضوحه، وفي شموله، وقيمته التعليمية.

هذه هي معالم المدرسة الحديثة التي تجعلها تبدو مختلفة اختلافا كبيرا عن المدارس التي ألفها معظم الكبار، وهذه هي المعالم التي أدت إلى كثير من الاهتمام في دوائر نقاد التربية، فنسمعهم يتساءلون: هل هذه المدارس تلعب وتلهو؟ هل تستخف كثيرا بالجانب النظري الأكاديمي للمدرسة؟ هل يمكن اعتبارها أكثر من بدع مستحدثة أو أكثر من قشور؟ هل تتيح للأطفال وقتا سعيدا؟

تكشف هذه الأسئلة التي كثيرا ما تثار عن نقص في تقدير الأغراض

التي من أجلها عملت المدارس الحديثة على اقتباس بعض الطرق وتطويرها، فإذا ما استمتع الأطفال بوقت طيب في المدرسة شعر البعض أن هناك شيئا ناقصا، وتبدو هذه الوجهة من النظر غريبة شاذة حيث إنه لم يظهر بعد أن هناك فائدة أو كسبا يعود على الشخص حين يقوم بعمل كريه أو مضن، وقد ظهرت هذه الفكرة بوضوح من تصورات مدرسة ١٩٠٠، وهي المدرسة التي يقال عنها إنها لم تسبب أي ضرر، فأطفالها كانوا يجدون فرصا أخرى تعوضهم عما كان بالمدرسة من نقص، ويوصف ما يجرى في المدارس الحديثة بكلمات مثل «بدع مستحدثة» أو «قشور» وتقال هذه العبارات باستخفاف كبير وسخرية كما لو كان الشيء المقصود من هذه العبارات شيئا جديدا، والواقع أنك تعلمت من والد دقيق الملاحظة حكيم، أو من جار كبير السن يمتاز بالحذق أو من نجار تلاحظه أثناء عمله، فهل تلك الأشياء التي تعلمتها تعتبر قشورا؟ هل عندما طفت بالمدينة في جولاتك وأنت صغير تلاحظ، وتسمع، وتدقق، هل اعترض إنسان على طريقة تعلمك ووصفها بأنها بدعة مستحدثة؟ وأنك تعلمت بالطريقة القديمة التي يرجع قدمها إلى قدم الإنسان نفسه، هل يوجد شيء جديد بالنسبة للمدارس التي تستخدم هذه الطريقة – نعم إنها تعتبر جديدة بصفة خاصة بالنسبة لهؤلاء الذين تنبعث أفكارهم من مدرسة ١٩٠٠ حيث كان التلاميذ يتعلمون الكثير وحيث وجد الكثير ليتعلموه خارج المدرسة بالطريقة القديمة قدم الإنسان نفسه.

ويهتم أفراد الشعب بأن يحصر الأطفال انتباههم في المدرسة في الأشياء الجدية المهمة التي يجب أن يتعلموها، ولكن هل العطف، والروح

الاجتماعية، والميول الحقيقية الفعالة والقدرة على الابتكار، وآداب السلوك، واللعب القائم على احترام المساواة، والقدرة على الإنتاج والخبرة المباشرة والمهارات الصناعية، وممارسة فنون الحياة، تعتبر أقل أهمية وأقل جدية من عملية ضرب ٢ X ٢ أو من السؤال التالي: متى اكتشف كولمبس أمريكا [١] ؟

وتستعمل كلمة «لعب» كما لو كانت شيئًا غير جدير بالاحترام، إلا أن الثقاة يتفقون اتفاقا تاما على أن اللعب يعد إحدى العوامل الروحية الفعلية المهمة التي تؤدي إلى تجديد حياة النشد، وتكمن روح اللعب عميقة قى النفس الإنسانية حتى أنه لا ينضب معينها أبداً في نفس أكثر الكبار تكيفا ولكنهم يعبرون عنها فيما يقومون من أعمال فنية وفيها يمارسون من هوايات، وفيما يبتدعون أثناء أعمالهم.

غير أن ما يشبه اللعب، ليس لعبًا على الدوام وما يقوم على الميل والاهتمام يساء فهمه أحيانًا فيطلق عليه خطأ كلمة لعب، والواقع أن الميل أو الاهتمام يعد قوة حيوية في حياة الفرد، وقوته تصبح خطيرة عظيمة إذا ما استطاعت المدرسة استخدامه، وعندما تستخدم المدرسة الحديثة المتطورة الميل، يصبح أداة ذات حدين، أن كنا نرى أن الميل وحده هو الشيء الوحيد في جعبة المدرسة الحديثة بأي حال، والميل أداة ذات

---

(١)معنى هذا أن الاهتمام بالنمو الاجتماعي والنمو الجسمي لا يقل عن الاهتمام بالنمو العقلي للتلاميذ ذلك أن التربية كعملية نمو تهدف إلى نمو الإنسان من جميع النواحي، والمنهج السليم هو الذي يوفر الخبرات المنوعة التي تحقق هذا النمو الشامل، وقد دلت الأبحاث على أن المدرسة التقدمية التي تهتم بنمو التلاميذ من النواحي الاجتماعية والجسمانية تؤكد الاهتمام بالنواحي العقلية.

حدين لأنه يستخدم بطريقتين: ففي المقام الأول نجد أن الميل يستخدم ليبين اتجاه النمو ومداه، فإذا شغف الطفل بدراسة الطيور والحشرات دون دراسة السيارات أو السفن وأقبل على دراستها بنفس الاهتمام والحماسة التي تميز نشاطه أثناء اللعب، فإن هذه الحقيقة تعتبر دليلاً طيباً رائعاً على الاتجاه الذي تنمو فيه مواهبه، وإذا ما استمر هذا الميل وصحبه تكيز أعمق وتشعب وتخصص في الدراسة، فإن هذه الحقيقة أيضا تعتبر دليلا على مقداره نموه في هذا الاتجاه.

وفي المقام الثاني، تستخدم المدرسة الحديثة بمثابة مثير، فيمكن أولا اكتشاف ميول الأطفال أثناء عملهم للأشياء التي يبدون نحوها نفس الحماسة التي تميز لعبهم وعلى ذلك فإن المدرسين يستطيعون اكتشاف ميولهم عن طريق وسائل غير مباشرة أثناء الدراسة التي يريد هؤلاء المدرسون منهم دراستها، وقد يتعذر القيام بذلك أحياناً إلا أنه إذا أمكن عمله فإن المدرسين سوف يدركون ما لديهم من قوة دافعة في عملهم مع الأطفال.

وإذا كان لابد من استخدام الميل، شأنه شأن أية قوة طبيعية توجد في متناول الشخص، فيمكن استخدامه عندما يكون في ذلك فائدة، ذلك أن الكثير من طرق المدرسة الحديثة تبدو بمثابة لعب في نظر الأشخاص غير المجربين، إلا أن هذه الطرق قد تصبح مجرد لعب وقد تفقد صفة العمل كما تفقد معناها وغرضها والدافع إليها عندما يفقد المدرس القدرة على التحكم في الأداة التي يعمل بها، ويحدث هذا لسوء الحظ في المدرسة التي تحاول أن تتحدى التربية التقليدية والتي تريد أن تبعد عن الطرق الجمعية

التقليدية دون أن تتوفر لها المصادر الكافية – ويقال لك عندما يقوم المدرس ناقصاً أو عندما لا تتوفر لديه المصادر التي يجب أن يعمل بها أو عندما يكلف بتوجيه مجموعة كبيرة.